# علاقة العدول بالاستفهام في قصة إبراهيم عليه السلام

## دراسة بلاغية

سارة بوفامة

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# علاقة العدول بالاستفهام في
# قصة إبراهيم – عليه السلام – دراسة بلاغية

سارة بوفامة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# علاقة العدول بالاستفهام في
# قصة إبراهيم – عليه السلام – دراسة بلاغية

**ملخص**

يسعى هذا المقال إلى الكشف عن العلاقة القائمة بين أسلوب الاستفهام وظاهرة العدول، وماهي الدواعي التي أدت إلى هذا الارتباط في السياق القصصي خاصة ؟ وقد وقع اختياري على قصة إبراهيم – عليه السلام – أنموذجا للدراسة والتحليل للتنوع الذي صوره القرآن الكريم عن محطات حياته، وكذا لتبنيه الحوار وسيلة للتواصل مع غيره، وتفعيله للاستفهام منفذا للتحاور.

لقد اقتصرت الدراسة على نوعين من العدول ؛ العدول عن الرتبة والحذف محاولة استخراج نماذج من القصة وتحليلها تحليلا بلاغيا معتمدة على القرائن اللغوية والمقامية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة


## Abstract

This articale aims at disclosing the relationship between the Interrogative style and the revers phenomenon , besides the main reasons triggering this alliance withing the context of story-telling in Qurran.

Our choice to the story of prophet Ibrahim- peace be upon him-

As a case of study to be explored was based on its diversity of life styles and the prophets' life setting changes, futhermore , his adoption to conversation as a mean of communiction with others in addition to activating interogation in purpose of exchanging ideas and information.

The study has been devoted to probe two major types of reverse: reverse from rank and ommission, revealing models from the story with a rethorical analysis built on the Linguistic and contextual context.


**مقدمة:**

يسعى القرآن الكريم إلى الغوص في أعماق النفس البشرية والتأثير فيها وتوجيهها نحو النهج السليم الذي يرقى بها إلى ما تصبو إليه من رغد العيش وصفائه في الدنيا والآخرة وقد تنوعت لذلك أشكال التعبير القرآني، فالبشر مختلفون في طبائعهم واستعداداتهم فمنهم من تقنعه البراهين والحجج العقلية ومنهم من يتأثر بالترغيب والترهيب ومنهم من يتأثر بالقصة وما فيها من تأثير وجداني[1]، فاحتلت القصة مساحة واسعة منه مجسدة الجانب العملي والتطبيقي للشق النظري والأحكام والتوجيهات المباشرة " فإنّ كثيرا من الناس يتأثرون بالواقع العملي أكثر من تأثرهم بالأحكام والتوجيهات المباشرة، فكما أراد الله تعالى منا العلم بالمنهج يطلب منا أن نطبق هذا المنهج ونوظفه في حياتنا" [2] إضافة إلى ذلك فالقرآن

---

[1]- قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس. دار النفائس، الأردن، ط3، 1430 هـ - 2010 م ، ص43.

[2]- قصص الأنبياء: أحمد متولي الشعراوي. جمع المادة العلمية: منشاوي غانم جابر، كتب حواشية وراجعها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، مج1، جار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص42

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكريم قد امتاز بجعله الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية"[1]

ولأن الجمال الفني في القصة القرآنية أداة وليس غاية فقد كفل لها خصوصية تميزها عن القصص الأدبي بشري المصدر وتظهر تفردها، ومن أظهر هذه الخصائص وأبرزها: عدم التزام تتابع الأحداث، وقصر الذكر على المشهد القصصي الذي يناسب السياق الذي ورد فيه ولا يعدوه، لأنه ما جيء بها – القصة القرآنية – إلا لخدمة غرض أسمى وهو الغرض الديني وذلك ما أثار حولها شبهة التكرار، فهي شبهة مفتعلة هاوية الأدلة والبراهين، وتنبئ عن غياب القراءة الواعية للقرآن الكريم والقصة القرآنية،فالقصة لا تتكرر بأكملها ولكنه " تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله فلا يتكرر إلاّ نادرا"[2] والمقصود من الجزء الذي تكرر في النادر" هو ذكر المشهد القصصي ذاته في مواضع متعددة من القرآن الكريم مرتين أو ثلاث مرات إلاّ أنه ليس تكرارا للمشهد بحذافيره، بقدر ما يحمل في كل مرة يرد فيها عناصر إضافية تحمل الجدة التي تتناسب والجو العام للسورة وتخدم السياق الذي وردت فيه.

وعلى الرغم من أن القصة القرآنية – كما ذكر آنفا – تحمل ما يميزها عن القصص الأدبي فإنّها في الوقت ذاته لا تستغني عن مقومات القصة الأساسية وخصائصها فلم يكن الغرض الديني حائلا دون ظهور خصائصها الفنية والجمالية، ومن أهم هذه الخصائص عنصر الحوار.

## 1- الحوار القصصي:

يعد الحوار من أهم الخصائص التي تقوم عليها القصة القرآنية، فهو تصوير لمشهد حي وتجسيد لموقف تشعر فيه بالحياة المتحركة التي تنتقل من موقف إلى موقف ومن جو إلى جو، ونعيش فيها الأحداث الماضية من خلال أبطالها الذين نشعر بهم - ونحن مندمجون في القصة – يتحركون أمامنا في أدوارهم وأوضاعهم كما لو كنا حاضرين معهم[3].

إنّ الحركية التي يضفيها الحوار للنص تجعله في طليعة الأساليب التي تمتلك القدرة على مناقشة القضايا وتحليلها وكذا القدرة على التأثير في المتلقي وتوجيه فكره ومعتقده، والقرآن الكريم يزخر بمثل هذه المشاهد الحوارية فهو المنهج الذي تبناه الأنبياء والرسل في نشرهم رسالة الحق التي أتوا بها.

---

[1]- التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق، دط، طت، ص 143.

[2]- المرجع نفسه، ص 155 – 156.

[3]- الإعجاز القصصي في القرآن الكريم: سعد عطية علي مطاوع، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ط1، 2006، ص 110.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغالبا ما يعتمد الحوار على ثنائية (سؤال، جواب) إذ يعد الاستفهام من أكثر البنى الخطابية دورانا في سياق الحوار القصصي سواء أكان هذا الحوار ذاتيا أم خارجيا وسواء أكان بين أطراف متحابة أم متنافرة، لما يحمله من دور فاعل في الكشف عما في ذهن المتلقي والقدرة على توجيه الحوار نحو ما يريده المتكلم.

ومن النماذج القصصية الغنية بالحوار والتي نلحظ ظهورها بكثرة في القرآن المكي والقرآن المدني، قصة إبراهيم – عليه السلام – فقد بلغ ذكره عليه السلام 69 مرة[1] في أكثر من 25 موضع، فتنوعت محطات حياته التي صورها القرآن الكريم، وعلى الرغم من هذا التنوع، والتباين في نوع العلاقات القائمة بينه وبين الشخصيات التي تحرك كل مشهد على حدة فإنّه عليه السلام لم يحد عن اختياره للحوار منهجا للتواصل مع الآخر مهما كانت علاقته به، علاقة اتفاق وانسجام أم علاقة اختلاف وتنافر.

استند سيدنا إبراهيم – عليه السلام – في محاورته قومه على أسلوب الاستفهام و لم يكن استعماله له لجهل منه بالإجابة أو طالبا للفهم والعلم ولكنه لجأ إليه مستعملا إياه وسيلة من وسائل الإقناع والمحاججة واستدراج الخصم وغيرها من الدلالات التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام.

## 2- أسلوب الاستفهام في قصة إبراهيم عليه السلام

### أ- الدلالة اللغوية للاستفهام:

الاستفهام مصدر استفهم وهو طلب الفهم وجاء في لسان العرب: "الفهم معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهما وفهما وفهامة علمه، والأخيرة عن سيبويه، فهمت الشيء عقلته وعرفته وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء، واستفهمه سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيما.[2]

ب- **الدلالة الاصطلاحية للاستفهام:** عرفه صاحب التعريفات، الشريف الجرجاني (816هـ) بأنه استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أولا وقوعها، فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور"[3]

---

[1]- المعجم المفهرس، الألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد ، عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1428 هـ- 2007م، دط، ص 2.

[2]- لسان العرب، ابن منظور ، ت:عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعرفة، القاهرة، ط1، مادة (ف ، هـ ، م).

[3]- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني. مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، دط، ص 17 – 18.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ج- **الاستفهام في القرآن الكريم**

استعمل الاستفهام في القرآن الكريم بكثرة، ولكن استعماله بمعناه الحقيقي الذي وضع له وهو طلب الفهم انحصر في مساحة ضيقة " لأنّ الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو منزه عن طلب الفهم"[1] لذلك فهو يتخطى هذه الدلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يحددها السياق والمقام أو كليهما معا، ومن هذه الدلالات التقرير، والإنكار، والتعجب، والتهويل، والنفي..... وغيرها كثير وقد أفاضت المؤلفات اللغوية قديما وحديثا في ذكرها وبيان نماذج لها من القرآن الكريم[2].

د- **الاستفهام في قصة إبراهيم عليه السلام**

لقد عدل التعبير القرآني عن استعمال الأسلوب الخبري المباشر إلى استعمال أسلوب الاستفهام في قصة إبراهيم عليه السلام – لتحقيق غايات يريد المتكلم تبليغها، وتتحدد هذه الغايات من خلال السياق القصصي أو المقام الذي قيلت فيه، فقد عبرت هذه الاستفهامات عن حالات انفعالية حادت بالمتكلم عن استعمال الأصل إلى اللجوء إلى التلوين في أساليب الخطاب وتخير أجودها الذي يرى فيه المتكلم القدرة أكثر من غيره على التعبير عما في نفسه ومنه التأثير في نفس المتلقي وهي الغاية التي يسعى إلى تحقيقها كل محاور.

لقد ارتبطت أغلب استفهامات القصة بظاهرة العدول[3] وبالتحديد ظاهرتي العدول عن الرتبة المحفوظة إلى الرتبة المشوشة وكذا العدول عن الذكر إلى الحذف والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام

**ما العلاقة بين أسلوب الاستفهام والعدول في السياق القصصي ؟ وما الداعي إلى الجمع بينهما ؟**

وهو السؤال الذي سأحاول الإجابة عنه من خلال التطبيق على نماذج من قصة إبراهيم – عليه السلام –

---

[1]- البيان في روائع القرآن- دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني- تمام حسان.عالم الكتب، دت، دط، ج2، ص 193.

[2]- ينظر: الإتقان في علوم القرآن:الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.ت:أحمد بن علي. دار الحديث، القاهرة ، 1428ه-2006م ، ج3، ص199-204.

: البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني – فضل حسن عباس. دار النفائس، الأردن، 1429ه-2009م، ط12، ص197-209.

[3]- "الأسلوب العدولي خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها...." البيان في روائع القرآن،ج2،ص77.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدراسة التطبيقية:

1) **العدول عن الرتبة المحفوظة:**أو خرق معيارية الترتيب أو التقديم والتأخير جميعها مصطلحات تدل على المعنى ذاته وهو "عدم مراعاة الرتبة بتقديم ما رتبته التأخير أو العكس، وتسمى الرتبة في هذه الحالة رتبة مشوشة."[1] ولا يلجأ المخاطب إلى العدول عن الرتبة المحفوظة إلّا لتحقيق غاية تبليغية توصل المعنى إلى قلب السامع محفوظا كما هو في نفس المخاطب، فالألفاظ تقتفي أثر المعاني، لأنّ المعاني مرتبة في نفس المخاطب والألفاظ تبع لها[2]، إضافة إلى غاية بلاغية تتحقق عن طريق تخيّر الأنماط المتفاوتة في الجودة مع اتّفاقها في الصحة [3]،وقد وليت هذه الظاهرة الأسلوبية عناية اللغويين في مراحل مبكرة من الدرس اللغوي فقال في ذلك سيبويه:"كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى،وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[4]،وقد أفرد عبد القاهر الجرجاني لهذه الظاهرة بابا خاصا في كتابه دلائل الإعجاز وأثنى عليها قائلا: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة."[5] وأنكر على من صغّروا من مكانة هذا الباب وحصروا الغاية منه في العناية والاهتمام دون ذكر من أين كانت تلك العناية وبما كان أهم.[6]

فصارت كلمة " العناية " كلمة مطاطية تطبع بها كل التراكيب التي مستها ظاهرة التقديم والتأخير والصحيح غير ذلك إذ لكل تركيب سياقه الكلامي ومقامه الحالي الذي وقع فيه، ولا بد أن تستقى الدلالة بمراعاة هذين الأمرين على أقل تقدير.

ولأجل الكشف عن الغرض من التقديم والتأخير المتعلق بالاستفهام في قصة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- لا بد من إمعان النظر، وتحكيم الذوق في كل تركيب على حدة والإلمام بما يحيط

---

[1]- المرجع نفسه ، ج2 ، ص107.

[2] -دلائل الإعجاز:أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني.قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر.شركة القدس، ط3،1413 هـ 1992م،ص55ـ56.

[3]- الأسلوب و النحو، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية: محمد عبد جبر، دار الدعوة، 1409ه، 1988م، ط1، ص 15.

[4]ـ الكتاب:سيبويه أبوبشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه.ت:عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،1425ه-ـ2004م ط4 ،ج1، ص34.

[5]- دلائل الإعجاز، ص 106.

[6]ـ ينظر:المصدر نفسه ،ص108.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

به داخل النص وخارجه.فإذا اجتمع الاستفهام بمعناه المجازي مع التقديم والتأخير سيكون للبلاغة ما تقوله في هذا التركيب فمنهج البلاغيين ينأى عن منهج النحاة في تناول هذه الظاهرة، إذ يستنبطون منها معان ثانية، وأسرار بيانية لم يصرّح بها النص تصريحا مباشرا.[1]

وسأحاول من خلال هذه الدراسة الوصول إلى الأغراض البلاغية الناجمة عن اجتماع أسلوب الاستفهام والتقديم والتأخير في ثلاث مواضع من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

**1- {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } [مريم: 46]**

وردت الآية الكريمة على لسان أب إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ في مشهد حواري يضمهما سويا ويظهر من خلاله حلم الابن ولينه في محاورته أباه، وحسن تخيره للألفاظ والأساليب استمالة لقلبه نحو الحق، فاختار أسلوب الاستفهام وسيلة للموعظة ومنفذا راقيا يتقلد من خلاله دور طالب الفهم أمام أب معاند مصر على الضلال بل ويعتز به {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم: 42] حتى لا يشعره بالنقص أو يظهر له أنّه أعلم منه[2]، فقوبل لينه- عليه السلام- بالجفاء وحلمه بالتعصّب والغضب فما كان ردّ أبيه عليه إلا كسرا لسلسة الرقة والرأفة الصادرين عنه،حيث ردّ على استفهامه باستفهام مشحون بدلالات الإنكار والتوبيخ والتعجب قائلا:{ **أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** } وجّه التركيب الاسنادي الواقع بعد همزة الاستفهام نحويا إلى وجهين اثنين:

- **الوجه الأول:**راغب مبتدأ وحسن الابتداء بالنكرة لما تقدمها[3] و"أنت" ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل ساد مسد الخبر.
- **الوجه الثاني:**راغب خبر مقدم وأنت ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر.

---

[1]- الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي و النحوي و البلاغي، حسن منديل حسن العكيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ط1، ص 113.

[2]ـــ تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، راجع أصوله وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم، 1991، د ط ج 15، ص 9097.

[3] ـــ إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس. وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ط3، مج، ص 13.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رجّح النحاة الوجه الأول واختاروه على الوجه الثاني فقال السمين الحلبي (756 هـ) في ذلك[1]: " الأول أصوب وهو مذهب سيبويه ورجح الأول بوجهين: أحدهما أنه ليس فيه تقديم ولا تأخير، إذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه والثاني أنه لا يلزم فيه الفصل بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لأن " عن آلهتي " متعلق ب: " راغب " فإذا جعل " أنت " فاعلا فقد فصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا فإنه أجنبي إذ ليس معمولا لـ " راغب "[2]

إنّه الوجه المختار لدى النحاة لما فيه من محافظة على معيارية الترتيب بين المسند والمسند إليه – المبتدأ الوصف وفاعله – أو ما تعلّق بالفصل بين المبتدأ " راغب " وما تعلّق به من جار ومجرور فإذا فصل بينهما بالفاعل فالفاعل جزء من رافعه أما الاحتمال الثاني فيجعل الفصل بين " راغب " وما تعلق به بأجنبي.أمّا البلاغيون فقد اختاروا الوجه الثاني لأن تقديم الخبر على المبتدأ ليلي الهمزة مباشرة فيه كشف عن المسؤول عنه فالأصل أن يلي المسؤول عنه الهمزة والسياق يوضح أن الفعل الذي يسأل عنه الأب وينكر صدوره هو فعل الرغوب لا أن ينكر صدوره من ابنه إبراهيم عليه السلام فقدّم ما يجب تأخيره في قوله: { **أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** }لأنّه كان أهم عنده وهو عنده أعنى" [3].

لم يكن للاستفهام منفردا القدرة على إيصال درجة انفعال الأب وشدة غضبه لما سمعه من ابنه فتقديم الخبر كشف عن إنكار الأب لفعل الرغوب عن الآلهة وتعجّبه من ذلك، وبيّن درجة تعظيمه لها وعنايته بإتباع سنة آبائه وأجداده، فكان لاقتران الاستفهام بالتقديم والتأخير دور كبير في تحقيق أغراض الإنكار والتعجب وتبيان الأهم والأعنى لدى المخاطب.[4]

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه،ج3، ص13/ التبيان في إعراب القرآن:أبو البقاء الحسن العكبري.ت:علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت،1407ـ1987،ط2، ج2، ص876.

[2]- الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف السمين الحلبي. ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم ، دمشق، ج7، ص 605-606.

[3]- الكشاف ، مج3، ص 19.

[4]- ينظر، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم:على أبو القاسم عون، دار المدار الإسلامي 2006-ط1، مج3، ص 1036.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

**2) { أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ} [الصافات: 86]**

في الآية الكريمة استفهام وجهه سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لقومه في سياق توالت فيه الإستفهامات[1] لإرادة محاجّة قومه ومحاولة إقناعهم بالتخلي عن نهج آبائهم وتبنّي منهج التوحيد الذي جاءهم به. ومن بين الوسائل اللغوية التي وظّفها سيدنا إبراهيم –عليه السلام – لتحقيق غايته تقديم المفعول لأجله على المفعول به ونعته وعامله ليلي همزة الاستفهام الدالة على الإنكار والتعجب والتوبيخ، فاتّضح المنكر عليهم في الآية وهو الإفك الذي يتخذون لأجله الأصنام آلهة.

إنّ في تقديم المعمول على عامله استثارة لذهن الملتقي ليتساءل مع نفسه عن سبب هذا العدول والعناية به، فتنكشف له نفسه التي تختار عبادة الأصنام لأجل الإفك والإفك مستهجن مستقبح سماعه وتقبله حتى لفاعله "لأنّ الكفر عن ضلال قد ترجى له الهداية، أمّا الكفر عن إفك فذلك انحراف مع تدبير وكيد وإصرار،ولهذا عجب إبراهيم لقومه الذين يعلمون أنّ الأصنام لا تضرّ ولا تنفع، ثمّ يصرون على عبادتها بالباطل."[2]

ولأنّ القرآن الكريم كل متكامل معجز كلّه وجزءه، فكما لاجتماع التقديم والاستفهام غاية بلاغية وله غاية تبليغية يراد منها إيصال ما في قلب المتكلم تماما كما هو إلى قلب المخاطب، فله كذلك دلالة صوتية تتعلق باللفظ، فالفاصلة القرآنية مرتبطة دلاليا مع الآيات والتراكيب التي وردت فيها فأخر العامل(تعبدون) عن معمولاته (إفكا وآلهة)لتحقيق التناسب الصوتي بين فواصل الآيات الثلاث. قال تعالى: **{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات: 85 – 87]** [3].فالتقديم والتأخير إذن يجمع بين الوظيفتين الجمالية والدلالية.

---

[1] – قال تعالى:" **{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات: 85 – 87]**.

[2]– البيان في روائع القرآن،ج2،ص107-108.

[3]– ينظر، بلاغة التقديم و التأخير في القرآن الكريم،ج3 ، ص 1059.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3) – { أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: 62]

صدرت الآية على لسان قوم إبراهيم –عليه السلام– بعد أن فوجئوا بأصنامهم قد أصبحت جذاذا وكل الاتهامات تحوم حوله. فتوجهوا إليه باستفهام تضافرت فيه دلالات التقرير والإنكار والتعجب قائلين { أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: 62]، ولأنّ العناية في الاستفهام منصبة على ما بعد الهمزة فإذا قلت" أفعلت؟" فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده وإذا قلت " أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه". [1]

إنّ التقاء الاستفهام مع تقديم ضمير المخاطب " أنت" الدال على الفاعل المعنوي، أبرز أنّ القوم أرادوا من سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن يقرّ لهم بأنّه هو الفاعل ولا أن يقرّ لهم بالفعل، وإنّ في تقديم الضمير المنفصل أنت إظهار لتحضيرهم سيدنا إبراهيم عليه السلام بوصفه في موضع التقابل مع الآلهة التي علوّ من شأنها وعظّموها، فكأنّهم قالوا له هل من مثلك يأتي منه مثل هذا الصنيع بآلهتنا المعظمة؟[2]

يجمع بين هذه التراكيب **السياق** الذي وردت فيه، فهو سياق الصراع المليء بالمشاحنات والمجادلات ومحاولة استدراج الخصم واستمالته نحو الطرف الآخر.و إن انفعال المخاطب يدفعه إلى اختيار الاستفهام وسيلة لتفريغ شحناته الانفعالية، فلم يكتف بإصدارها عن طريق الإخبار عنها إثباتا أو نفيا، بل وأضاف إلى ذلك خرق معيارية الترتيب ليقدم المعنى في أحسن لفظ وأروع ترتيب ولا يكون الشيء رائعا إلّا إذا كان ملفتا للذهن."[3]ولا يقف هذا العدول عند الدلالة الجمالية بل يتعدّاها إلى الكشف عمّا في ذهن المخاطب من معان "فالمعاني مرتبة في نفس المخاطب والألفاظ خدم لها" [4] كما يتحقق الإفصاح عن الدلالات المقصودة دون استعمال لغوي إضافي فتتحقق بذلك الغاية الاقتصادية التي تهدف إلى استخدام أقل جهد ممكن مع تحقيق التأثير الذي يرجوه المتكلم.

---

[1]– دلائل الإعجاز، ص 111.

[2]– ينظر: البنية الحوارية في الخطاب القرآني، مقاربة أسلوبية في السور المكية، رزيقة طاوطاو أطروحة دكتوراه في اللغة و الدراسات القرآنية، جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1431هـ– 2010م ، ص240.

[3]– جدلية الفعل القرآني عند علماء التراث، دراسة دلالية حول النص القرآني، عرابي أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية 2011، د ط، ص 124.

[4]– دلائل الإعجاز، ص 54.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

**العدول عن الذكر إلى الحذف**:يعد باب الحذف من أكثر الأبواب التي حظيت بعناية النحويين والبلاغيين والمفسرين، لما يحمله من قيمة اختصارية تحقق الاقتصاد اللغوي دون الإخلال بالمعنى، بل تتحقق الإفادة، إذ بإمكان الحذف الإفصاح عن دلالات لا يفصح عنها الذكر،كما قال فيه عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ بيانا إذا لم تبن." [1]

والحذف ظاهرة تطبع اللغة العربية "فالعرب تحذف من الكلام البعض إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا" [2]ولأنّ القرآن الكريم كلام الله العربي المبين فلا تخلو أساليبه من هذه الظاهرة اللغوية، "فإذا قلنا إنّ في أسلوب القرآن حذفا فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن، وإنما ننسبه إلى تركيب اللغة"[3].

**شروط الحذف**: اشترط اللغويون للحذف شروطا تتمثل في أن "يكون بحذف مالا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة بل ولو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام من علو بلاغته ولصار إلى شيء مسترك مستذل ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام الطلاوة والحسن والرقّة، ولا بدّ من الدلالة على المحذوف" [4]ويكون الدليل إمّا معنويا أي يقتضيه المعنى أم صناعيا أي تقتضيه الصناعة النحوية وسواء تدلّ عليه قرينة لفظية أم تدل عليه قرينة المقام" [5]

**صور الحذف**:لقد توسعت العرب توسعا كبيرا في استعمال الحذف،وقد جرى الحذف فيها في جميع أنواع الكلم فقد:

- حذف الجزء من الكلمة كحذف "الكاف" من يكن في قوله تعالى: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** (النحل120)
- حذف بعض حروف المعاني:نحو حذف "لا"في قوله تعالى: **{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ }**(يوسف85) أي:لا تفتأ.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 146.

[2]- تأويل مشكل القرآن:أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.ت:سعد بن نجدت عمر،مؤسسة الرسالة ناشرون،1432هـ-2011م، ط1.ص 262.

[3]- البيان في روائع القرآن،ج2،ص109.

[4]- تأويل مشكل القرآن ، ص 72.

[5]- الجملة العربية-تأليفها وأقسامها:فاضل السامرائي.دار الفكر،عمان، الأردن، 1427ه-2007م، ط2، ص73.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

● حذف الحرف مع ما ارتبط به: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً} (الإسراء74-75)أي:ولو ركنت إليهم.

● حذف الفعل نحو قوله تعالى: **{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ}** (النحل30) أي أنزل خيرا.

● حذف الاسم في مواقعه الإعرابية المتباينة: كحذف المبتدأ في قوله تعالى:" **وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ** (القارعة10-11) أي هي نار.

● حذف الجملة والجمل والكلام: نحو قوله تعالى: **{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ}** (يوسف45-46) والتقدير: فأرسلوه فأتى يوسف فقال له.فحذف ثلاث جمل.[1]

**الحذف المرتبط بالاستفهام في قصة إبراهيم – عليه السلام –:**

**حذف الأداة:** حكى ابن جني عن أبي علي قال: "قال أبو بكر حذف الحروف ليس بالقياس وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هي أيضا واختصار المختصر إجحاف له"[2] ومع ذلك فقد حذفت الحروف إن دلّ على حذفها دليل.واختصت الهمزة بجواز الحذف وإنّما خصّت بهذه الخاصية دون سائر أدوات الاستفهام لكونها أصل هذه الأدوات وأمّ هذا الباب[3]

وحذفت الهمزة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في مواضع عديدة نذكرها على النحو الآتي:

**1-{ هَذَا رَبِّي } [الأنعام: 76]**

اختلف اللغويون والمفسرون حول خبرية أو إستخبارية هذه الآية، فقد اختار بعضهم أن يحملوا الآية على لفظها فتكون خبرية، مبررين صدورها عن خليل الله إبراهيم – عليه السلام – من باب مجاراة القوم الضالين للوصول بهم تدريجيا إلى الاقتناع بعدم أحقية الكواكب بالعبادة ونفي صفة الألوهية

---

[1]- الجملة العربية تأليفها وأقسامها،ص75-76.

[2]- الخصائص:أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ-2007م ، ج2، ص 266.

[3]-الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية و معاينة البلاغية:عبد العزيز بن صالح العمار، الرياض،1430ه-2009م، دط، ص56.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنها،وهذه حجة أتاه الله إياها و { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام: 83] ومن هؤلاء ابن قتيبة[1] (276هـ) والزجاج[2]( 311ه )،والزمخشري(471هـ)،حيث قال:" هو قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق، وأنجى من الشغب، ثم يقر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة [3] . خاصة وأن اللغويين قد أنكروا حذف الحرف وقالوا بعدم قياسيته.واحتمل ابن عطية(541هـ) فيها الوجهين و لم يرجح أحدهما فقال:"كأنّه قال لهم:"أهذا المنير ربي"أو"هذا ربي"وهو يريد على زعمكم كما قال تعالى:"أين شركائي"فإنما المعنى: على زعمكم"[4]. واختار غيرهم أن تكون هذه الجملة استفهامية، وتقديرها " أهذا ربي " ومن هؤلاء:

العكبري (616هـ ) فقال " هذا ربي " مبتدأ وخبر تقديره: أهذا ربي: وقيل على الخبر أي غير الاستفهـــــام [5].واستدل ابن هشام ( 761 هـ) بهذه الآية على جواز حذف الهمزة في الاختيار عند أمن اللبس.[6]

ومن المحدثين، فقد أنكر فضل حسن عباس في كتابه قصص القرآن[7] أن تحمل"هذا ربي"على لفظها وتفسر على أن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– كان يبحث عن إلهه حقيقة بفطرته السليمة [8] واستشهد بهذه الآية محمد السيد حسن مصطفى[9] على حذف الحرف في القصة القرآنية، وخرّجها عماد

---

[1] تأويل مشكل القرآن، ص414.

[2] ينظر: معاني القرآن و إعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. ت: عد الجليل عبده شلبي عالم الكتب ، بيروت ، 1408 – 1988 ، ط1 ، ج2 ، ص267-269.

[3] الكشاف، مج2 ، ص39.

[4] ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:أبو محمد بن عطية الأندلسي.دار ابن حزم، بيروت، لبنان 1423هـ-2002م، ط1، ص638.

[5] – التبيان في إعراب القرآن ، ج1، ص512.

[6] ينظر: حاشية الدسوقي على متن مغني اللبيب، ج1 ، ص17-18.

[7] قصص القرآن ، ص29.

[8] ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق 1423 – 2003 ، ط32 ، ج7 ، ص1138.

[9] الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية:محمود السيد حسن مصطفى.مؤسسة شباب الجامعة، 1981م، ط1 ،ص328.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبد يحي على أنّها استفهام تنغيمي قد أخرج النص عن كونه خبرا معتادا[1] فالتنغيم عنصر تحويلي يخرج النص من الخبرية إلى الإستخبارية. ومادام قد تحقق حضور الأطراف المتحاورة فالسامع مدرك للنبر الواقع على الكلمة وقادر على فهم المقصود منها ولأنّ الله عز وجل أنزل القرآن على الإنسان، وهو مميز بنعمتي العقل والفطنة، فاعتمد القرآن على تفكر المتلقي وتدبره في إدراك مواطن الحذف واستنباط المحذوف.[2]

وإن خالف هذا التركيب القاعدة النحوية التي تشترط بقاء "أم" المتصلة في التركيب دليلا على حذف الهمزة فإنّ السياق يظهر سيدنا إبراهيم –عليه السلام –مناظرا لقومه في شكل أسلوب استفهامي إنكاري من وجوه مختلفة نذكر منها:[3]

1- قد ثبت توحيده من قبل وإبطاله لعبادة الأصنام.

2- أراه الله ملك السموات والأرض قال تعالى: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} ( الأنعام75)

3- إتّباعه الأسلوب الجدلي في استدراج قومه نحو الحق بالحجج القولية والعملية.

إن الاستغناء عن همزة الاستفهام ليحلّ بدلا عنها التنغيم الاستفهامي قد دعّم مقصد إبراهيم – عليه السلام –في إنكار عبادة غير الله، من خلال امتزاج النبر الدال على الاستفهام مع النبر الدال على الاحتقار والازدراء فيكون التأثير مزدوجا وفعّالا لإرجاعهم إلى أنفسهم محاولة منه لاستدراجهم نحو سبيل الحق.

## 2- {عَجُوزٌ عَقِيمٌ } [الذاريات: 29]

وردت الآية الكريمة على لسان زوج إبراهيم – عليه السلام – حين جاءتهما الملائكة بالبشرى،ولقد عرض هذا المشهد في القرآن الكريم في أربعة مواضع من سورة هود والحجر والذاريات وإشارة سريعة في سورة العنكبوت وذكرها في مرات عديدة لا يعني تكرارها بل هو تنويع في طريقة العرض التي تضفي في كل مرة تظهر فيها القصة لمستها الإضافية.

تلتقي سورتي هود والذاريات في أن الشخصية الفاعلة في هذا المشهد هي زوج إبراهيم – عليه السلام- ويختلف ظهورها بين الموضعين في أنها خصت بالخطاب المباشر من الملائكة في سورة هود فردت وهي متعجبة من البشرى قال تعالى: { **يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ** }

---

[1] البنى والدلالات في لغة القصص القرآني– دراسة فنية – عماد عيد يحي. دار دجلة، عمان، 2009، ط1 ص180

[2]- جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث- دراسة دلالية حول النص القرآني- ص 105.

[3]- ينظر: البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، ص 224.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(هود72)، أما في سورة الذاريات فقد وجهت البشرى إلى إبراهيم–عليه السلام–فكان حضور زوجته مغايرا لما هو عليه في سورة هود قال تعالى: { **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ** } ( الذاريات 29).

إنّ اختلاف السياق قد أدى إلى اختلاف جواب زوجة إبراهيم – عليه السلام– فلما كان الخطاب موجها إليها مباشرة فقد أطالت في جوابها، أمّا حين لم يوجه الخطاب إليها مباشرة فقد اختصرت في جوابها وأوجزت قائلة: "عجوز عقيم" وتقديرها:"أألد وأنا عجوز عقيم".

**3–{وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} [البقرة: 124]** في قوله تعالى{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة: 124]

اتّضحت دلالة السّؤال في الآية على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام دون أداة وعن طريق التنغيم الاستفهامي من خلال قرائن الأحوال واقتضاء المقام لها، فالسياق يوضح لهفته–عليه السلام– لمعرفة حال ذريته من بعده،فحذف الأداة تسريعا لوتيرة الحوار، ولأجل التخلص من السؤال لاقتناص الجواب الذي يرغب في الحصول عليه ويتمنى تحقيقه.

**حذف جملة الاستفهام.**

أ– الحذف المقدّر قبل حرف العطف وبعد همزة الاستفهام:

تنوّعت آراء النحاة والبلاغيين والمفسرين وتباينت حول موضع الهمزة قبل حرف العطف، أهو لأصالتها في التصدير أم أنّها في موضعها وجملة الاستفهام التي بعدها محذوفة فعطفت الجملة التي بعد حرف العطف على مضمر؟

وقد وردت الهمزة على هذا النمط بكثرة في قصة إبراهيم عليه السلام " وفي الغالب منها فإنّ الكلام لا يستقيم إلّا بتقدير كلام بعد همزة الاستفهام وقبل حرف العطف، فحرف العطف هو للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام" [1] ومن بين هذه النماذج قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: { **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ** } ( الشعراء75) وتقديرها: " أنظرتم فرأيتم" [2] وكذلك في قوله تعالى:{ **أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ**} ( الأنبياء66) وتقديرها: " أتعرفون أن الأصنام لا تنطق فتعبدونها." [3]

---

[1]– تصريف القول في القصص القرآني، دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام ، ص 42.

[2]– حاشية الدسوقي على متن مغني اللبيب، ج1،ص19.

[3]– بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعرابا و تفسيرا بإيجاز، مج6، 376.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و قوله تعالى: { **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** } ( الأنبياء 67) وتقديرها: "**ألا تتفكرون فتعقلون**". [1]

و في قوله تعالى: { **أولم تؤمن**} (البقرة 260) أي " ألم تعلم و لم تؤمن بأني قادر على الأحياء، كيف أثناء حتى تسألني عنه." [2]

**ب/ حذف الجمل:**

و هي تقنية من تقنيات السرد القصصي التي امتازت بها القصة القرآنية، ومفادها تحقيق وظيفتين أساسيتين هما:[3]

1- تسريع عرض المشاهد، وذلك بغضّ الطرف عن كثير من التفاصيل التي يمكن الوصول إليها من خلال دلالة السياق أو عن طريق بقية الأحداث المعروضة.

2- اشتراك القارئ من خلال تحريك وجدانه وتنشيط خياله لإتمام البناء القصصي المحذوف.

و لم تحد قصة إبراهيم عليه السلام عن هذه التقنية التي بإمكاننا تقصيها في كل مشهد قصصي إن أمعنا النظر فيه وحكّمنا العقل، واستندنا إلى الذوق السليم، ومن شواهد ذلك:

ما جاء في سورة هود أثناء حواره مع رسل ربه إليه قال تعالى: { **فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ**} (هود 70)، إذ نلمس في الحوار استفهاما محذوفا، دلّ عليه السياق اللغوي حين عرض ردّ الملائكة " لا تخف "، فخوفه عليه السلام ناجم عن إنكاره لعدم أكلهم الطعام المقدم لهم. وتقديرها: فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فقال: " ألا تأكلون؟" أو مالكم لا تأكلون؟ فما خطبكم وما جاء بكم؟

ويؤكّد هذه الاستفهامات المقدرة ظهورها أثناء عرض القصة في مواضع أخرى من الذكر الحكيم. فقد ذكر السؤال عن الأكل، فقال في سورة الذاريات" ألا تأكلون" وذكر السؤال عن سبب مجيء الرسل إليه فقال في سورة الحجر {فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ} [الحجر: 57]

ويظهر حذف الجملة الاستفهامية في سورة الصافات في مشهد آخر التقى فيه فريقا الحق والباطل أمام معبد حطمت فيه آلهة فريق الباطل، لقد صدم القوم لما رأوا مشهد أصنامهم وهي محطمة قال تعالى:" { **فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ**} **[الصافات: 94، 95]**إنّنا نلحظ حلقة مفقودة بين { **فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ** } و {**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ**} فالقوم لم يقفوا مكتوفي الأيدي والألسنة لما رأوا المشهد، وأكيد أن الأسئلة والاستفهامات قد توالت بين حقيقية ومجازية من كل واحد

---

[1]- روح المعاني، مج10، ج17، ص 100.

[2]- المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 32.

[3]- ينظر، تصريف القول في القصص القرآني، دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام، ص 44-45.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهم، فالصدمة لم تكن بالشيء الهين ودليل ذلك الجزاء الذي أرادوه له وهو الحرق لولا أن نجاه الله بمعجزة خالدة.

ومن السياق يمكننا أن نقدر الجمل الاستفهامية المحتملة لهذه الحلقة المفقودة " ماذا حدث لآلهتنا؟"، " من فعل هذا بآلهتنا؟"،" كيف لأحد أن يجرأ على هذا الفعل؟" فإدراكها يسير على المتلقي، كما أن حذفها أبلغ من ذكرها، لأنه يفتح باب الخيال أمام القارئ ليشارك في بناء القصة وتوقع ما قد وقع فيها من أحداث، خاصة وأنّ القارئ قد ارتبط بشخصيات القصة وأصبح عارفا بطريقة تفكيرها على تنوعها واختلافها. ويؤكد وجود الحذف في عرض القرآن الكريم للمشهد في سورة الصافات التفصيل الذي عرفه المشهد ذاته في سورة الأنبياء( 51 –73) قال تعالى: { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: 59 – 62] ولكن الذكر الحكيم قد ضرب عنها صفحا ملاءمة للسياق وللجو العام للسورة، فسورة الأنبياء كان الحديث فيها موجزا إيجازا تاما والرسول الوحيد الذي فصلت عنه السورة الكريمة كان إبراهيم –عليه السلام–.[1]

3– ومن السياقات التي تبرز فيها ظاهرة حذف الاستفهام ؛المناظرة التي جاءت في سورة البقرة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والملك الكافر.

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام { **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**} (البقرة 257) فالقارئ للآية الكريمة بإمكانه أن يدرك الحذف الواقع فيها، فلما وجّه إبراهيم –عليه السلام –كلامه إلى الملك الكافر كان ردّه:"أنا أحيي وأميت" فالسؤال المقدر في هذا السياق وماذا تفعل أنت؟ أو أأنت تستطيع فعل ذلك؟ فجهله وبلادته جعلاه ينسب لنفسه فعل الإحياء والإماتة، فتجاوز إبراهيم عليه السلام هذا الحوار العقيم معه لأنّه رأى فيه عدم القدرة على إدراك المجردات وغير قادر على التفرقة بين الإماتة والقتل، فانتقل به إلى عالم المحسوسات، **{قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: 258]** فالسّؤال المحتمل بعد هذا العرض المبكّت للملك الكافر أن يقول له، هل تقدر على هذا فعل ؟ هل بإمكانك أن تأتي بالشّمس من المغرب؟ فبهت الذي الكفر لاستيلاء الحجة عليه؟[2]

---

[1]– ينظر، قصص القرآن، ص 91.

[2]– ينظر: روح المعاني ، مج2، ج3، ص 21–22.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد تتبع ظاهرة الحذف المتعلقة بأسلوب الاستفهام في قصة إبراهيم عليه السلام نلاحظ أنها واردة بكثرة ويمكن إرجاع ذلك إلى الدواعي الآتية:

1- أسلوب الحوار يقتضي العلم بقرائن السياق والأحوال، فيكون الحذف أولى من الذكر في أحايين كثيرة، "فالحذف يعكس مستويين للجملة؛جملة منطوق بها وهي البنية السطحية وجملة غير منطوق بها وهي البنية العميقة، وهي ما اصطلح عليها الجرجاني:المعاني في النفس وتقابلها الألفاظ في النطق."[1]

2- انفعالات الأطراف المتحاورة تؤدي إلى تجاوز الإفصاح إلى الاستغناء تسريعا لوتيرة الحوار.

3- جمالية القصة تظهر بقوة أثناء اشتراك المتلقي في رسم بعض جزيئاتها، فيتعمد العرض القصصي حذفها ليترك الفرصة لخيال القارئ فيضيف لمسته ليزيد ذلك من ارتباطه بالقصة وتعلّقه بها لأنّها ستصبح ظاهرة أمامه وله دور فاعل فيها.

**خاتمة:**

ارتبطت القصة القرآنية بظاهرة العدول الوارد في سياق الاستفهام ومردّ ذلك إلى القاعدة التي مفادها أنّ "الإفادة هي المطلب الأول للاستعمال اللغوي"[2] فإن تحققت الإفادة فلا غرو في تخير استعمالات أسلوبية تفي بإيصال المعنى إلى قلب السامع محفوظا كما هو في نفس المتكلم فتمنح بذلك سعة ومرونة في الاستعمال اللغوي.وتحققت هذه السعة في القصة القرآنية لتوفرها على العناصر الآتية:

- التصوير الحي الذي يصوره القرآن الكريم للمشهد القصصي، فيرقى بالنص من عالم الألفاظ والتراكيب إلى عالم الصور الحية والمتحركة أمام المتلقي.
- اعتماد القصة على خاصية الحوار، فالحوار يكفل حضور الأطراف المتحاورة، والحضرة مغنية عن الإفصاح.
- تحمل الشخصيات المتحاورة في القصة القرآنية شحنات انفعالية مختلفة تعبر عنها بأساليب متعددة، وغالبا ما تحيد بها عن الأصل الذي تحكمه القاعدة النمطية إلى اختيارات أسلوبية أخرى تكسبها التفرد الجمالي من جهة والدقة في الكشف عما في نفس المتكلم من جهة أخرى.
- أغلب الاستفهامات الواردة في السياق القصصي هي استفهامات مجازية تعبر عن انفعال الشخصيات المتحاورة، والعامل النفسي الذي أدّى بالمتكلم إلى العدول عن التركيب الخبري نفيا

---

[1]- الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة – دراسة تحليلية نقدية – دليلة مزوز.عالم الكتب الحديث ،إربد،الأردن،1432هـ-2011م ،ط1 ،ص161.

[2]- البيان في روائع القرآن ،ج2،ص76.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو إثباتا إلى الأسلوب الإنشائي الطلبي هو ذاته العامل الذي أدى به إلى العدول عن الرتبة المحفوظة أو عن الذكر إلى الحذف.